القضايا الكبرى فى الإسلام

قضية الشاعرين هدبة وزيادة

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

— ٧ —

هذه قضية الشاعرين العُذْريين : هُدْبة بن خَشْرم وزيادة بن زيد ، بل مأساة الشعر الذى أراد الإسلام أن يجعل منه رسالة إصلاح ، وصلة تراحم ، فأبى إلا أن يمضى على ما كان عليه قبله ، يثير العصبية بين العرب ، ويقطع صلة التراحم بينهم وقد شغلت هذه القضية الناس ثلاث سنين ، بوقائعها المثيرة ، وأخبارها المؤثرة ، وأشعارها البليغة ، وكان أهل المدينة أكثر الناس افتناناً بأخبارها وأشعارها ، لأن وقائعها جرت فيما بينهم ، وكان هدبة أول من أُقيد منه فى الإسلام ، فأحدث ذلك فى الظافر المنتصر على نفسه ، المسيطر على حواسه ، السائد على فضائله ؟ أم أن الشهوة الحيوانية والحاجة الضرورية هما اللتان تتكلمان بلسان رغبتك ؟ أم هى العزلة قد دعتك إلى ذلك ؟ أم هو اضطرابك وتنازعك مع نفسك ؟ إننى أريد أن يكون ظفرك وحريتك هما اللذان يتشوفان إلى الولد ؛ وإن عليك أن تبتنى الأنصاب الحية لظفرك وحريتك . أجل ، إن عليك أن تبتنى شيئاً يعلو عليك ، ويسمو فوق مستواك . ولكن يجب قبل ذلك أن تكون أنت نفسك متين البنية ، قوياً فى الجسم والروح . فليس عليك أن تتناسل وتنتج فحسب ، بل إن عليك أن تُنتج فى صعود ، فترتفع بنفسك إلى ما فوق ... وإنما الزواج عندى هو اتحاد إرادتين أو شخصين ، لكى ينشأ منهما واحد يكون خيراً منهما »

وعلى هذا النحو لا تعود المرأة مجرد أُلْهيَّة ، ولا تقف مهمتها بعد عند الترويح عن المحاربين ، وإنما تصبح مخلوقاً جديراً بالاحترام والتقدير ، نظراً لأن قيمتها لا تقل عن قيمة الرجل فى خَلْق الإنسان الأعلى ، والتأدِّى بالإنسانية إلى تلك الغاية السامية التى تعلو عليها .

زكى نجيب إبراهيم

أهل المدينة الوادعة أثراً عظيما ، حتى قال مصعب الزبيرى : كنا بالمدينة أهل البيوتات إذا لم يكن عند أحدنا خبر هدبة وزيادة ازدريناه ، وكنا نرفع من قدر أخبارها وأشعارها ونعجب بها .

وكان من أمر هذه القضية أن هدبة وزيادة اصطحبا فى ركب من قومهما إلى الحج ؛ فكانا يتعاقبان السوق بالإبل ، وكان مع هدبة أخته فاطمة ، فنزل زيادة فارتجز فقال :

عوجى علينا واربعى يا فاطما ... ما دون أن يرى البعير قائما
ألا ترين الدمع منى ساجما ... حذار دار منك لن تلائما
فعرَّجت مُطرداً عُراهما ... فعماً يَبُذُّ القطف الرواسما(١)
كأن فى الشِّناة منه عائما ... إنك والله لأن تباغما(٢)
خَوْداً كأن البوص والمآكما ... منها نَقاً مخالطٌ صرائما(٣)
خير من استقبالك السمائما ... ومن مناد يبتغى معاكما(٤)

فغضب هدبة حين سمع زيادة يرتجز بأخته ، فنزل فرجز بأخت زيادة ، وكانت تدعى أم خازم أو أم القاسم ، فقال :

لقد أرانى والغلام الحازما ... نزجى المطى ضُمَّراً سواهما
متى تظن القلص الرواسما ... والجلة الناجيـــة العياهما
يبلغن أم خازم وخازما ... إذا هبطن مستجيراً قائما
ورجع الحادى لها الهماهما ... ألا ترين الحزن منى دائما
حذار دار منك لن تلائما ... والله لا يشفى الفؤاد الهائما
تماحك اللبات والمآكما ... ولا اللمام دونَ أن تلازما
ولا اللزام دون أن تفاقا ... ولا الفقام دون أن تفاغما
وتركب القوائم القوائما

فشتمه زيادة وشتمه هدبة ، وتسابا طويلاً ، ثم صاح بهما القوم : اركبا لا حملكما الله ، فإنا قوم حجاج

وقد خشوا أن يقع بينهما شر فوعظوهما حتى أمسك كل واحد منهما على ما فى نفسه ، وهدبة أشدهما حنقاً ، لأنه رأى

(١) الطرد المتتابع السير ، والعنام الشديد ، والرواسم الابل تسير الرسيم وهو فوق العنق

(٢) الشناة الزمام ، والعائم السابح ، وتباغم تكلم

(٣) البوص العجز ، والمآكمان ما عن يمين العجز وشماله ، والنقا ما عظم من الرمل ، والصرائم دونه

(٤) ويروى — ومن نداء يبتغى — أى رجلا تناديه أن يعينك على عكمك حتى تشده .

أن زيادة قد ضامه إذ رجز بأخته وهى تسمع قوله ، ورجز هو بأخته وهى غائبة لا تسمع قوله ؛ فمضيا ولم يتحاورا بكلمة حتى قضيا حجهما ، ورجعا إلى عشائرهما

وكان هدبة من بنى عامر وزيادة من بنى رقاش ، فتفاقم الشر بين الرهطين ، والتقى نفر من بنى عامر فيهم أبو جبر وهو رئيسهم الذى لا يعصونه ، وخثرم أبو هدبة ، وزفر عم هدبة ، ونفر من بنى رقاش فيهم زيادة وإخوته عبد الرحمن ونفاع وأدرع ، وكان ذلك بواد من أودية حرتهم ؛ فكان بينهم كلام ؛ فغضب أدرع وأبو جبر ، وكان زفر عم هدبة يعزى إلى رجل من بنى رقاش ؛ فقام أدرع فرجز به فقال :

أدُّوا إلينا زُفَرا نعرف منه النظرا
وعينه والأثرا

فغضب رهط هدبة وادعوا حداً على بنى رقاش ، فتداعوا إلى السلطان . ثم اصطلحوا على أن يدفع إليهم أدرع فيخلو به نفر منهم ؛ فلما رأوه عليه أمضوه . فلما خلوا به ضربوه الحد ضرباً مبرحاً ؛ فراح بنو رقاش وقد أضمروا الحرب وغضبوا ، وكان على السلطان أن يتولى إقامة الحد على أدرع ، حتى يهدئ تلك النفوس التى لا تزال تنزع إلى جاهليتها ، وتحاول الرجوع إلى عاداتها التى قضى الإسلام عليها

ثم جعل زيادة وهدبة يتهاديان الأشعار ويتفاخران ، ويطلب كل واحد منهما العلو على صاحبه فى شعره ، وجرت بينهما فى ذلك أشعار كثيرة روى صاحب الأغانى بعضها ، ولم يزل هدبة يطلب غرة زيادة حتى أصابها فبيته فقتله ، ثم تنحى مخافة السلطان . وكان على المدينة يومئذ سعيد بن العاص ؛ فأرسل إلى عم هدبة وأهله فحبسهم بالمدينة . فلما بلغ هدبة ذلك أقبل حتى أمكن من نفسه ، وتخلص عمه وأهله ؛ فلم يزل محبوساً حتى شخص عبد الرحمن أخو زيادة إلى معاوية بدمشق ؛ فأورد كتابه إلى سعيد بأن يقيد من هدبة إذا قامت البينة فأقامها ؛ فمشى رهط هدبة إلى عبد الرحمن وسألوه قبول الدية فامتنع . وقال :

أتحتم علينا كل حرب مرة فنحن منيخوها عليكم بكلكل
فلا تدعنى قومى لزيد بن مالك لئن لم أعجل ضربة أو أعجل

أبعد الذى بالنعف نعف كويكب
رهينة رمس ذى تراب وجندل

أذكر بالبقيا على من أصابنى
وبقياى أنى جاهد غير مؤتل

وقيل إن سعيد بن العاص كره الحكم بين هدبة وعبد الرحمن . فحملهما إلى معاوية بدمشق ؛ فلما صارا بين يدى معاوية قال عبد الرحمن : يا أمير المؤمنين أشكو إليك مظلمتى ، وقتل أخى ، وترويع نسوتى . فقال معاوية لهدبة : قل . فقال هدبة : إن هذا رجل سَجَّاعةٌ ، فإن شئت أن أقص عليك قصتنا كلاماً أو شعراً فعلت . فقال له معاوية : لا بل شعراً . فقال هدبة :

ألا يا لقومى للنوائب والدَّهر وللمرء يُردى نفسه وهو لا يدرى
وللأرض كم من صالح قد تأكمتْ عليه فوارته بِلَمَّاعةٍ قَفْرِ

فلا تتقى ذا هيبة لجلاله ولا ذا ضياع هن يتركن للقفر

إلى أن قال :

رمينا فرامينا فصادف رمينا منايا رجال فى كتاب وفى قَدْرِ
وأنت أمير المؤمنين ثألنا وراءك من مَعْدَى ولا عنك من قَصْرِ
فإن تك فى أموالنا لم نضق بها ذراعاً وإن صبر فنصبر للصبر

فقال له معاوية : أراك قد أقررت بقتل صاحبهم . ثم قال لعبد الرحمن : هل لزيادة ولد ؟ قال : نعم ، المسور ، وهو غلام صغير لم يبلغ ، وأنا عمه وولى دم أبيه . فقال له معاوية : إنك لا تؤمن على أخذ الدية أو قتل الرجل بغير حق ، والمسور أحق بدم أبيه

ثم رد معاوية هدبة إلى المدينة ، فحبس ثلاث سنين حتى بلغ المسور ، فذهب عبد الرحمن به إلى والى المدينة وهو سعيد بن العاص ، وقيل مروان بن الحكم ، فسأل سعيد عبد الرحمن أن يقبل الدية عن أخيه ، وقال له : أعطيك ما لم يعطه أحد من العرب ، أعطيك مائة ناقة حمراء ، ليس فيها جَدَّاء ، ولا ذات داء . فقال له عبد الرحمن : والله لو نقبت لى قبتك هذه ثم ملأتها ذهباً ما رضيت بها من دم هذا الأجدع . فلم يزل سعيد يسأله

ويعرض عليه فيأبى ، ثم قال له : والله لو أردت قبول الدية لمنعنى قوله :

لَنَجْدَعَنَّ بأيدينا أنوفكم ويذهب القتل فيما بيننا هدرا

فدفعه سعيد إليه ليقتله ، وكان الأولى أيضاً أن يتولى قتله بنفسه

فلما مضى من السجن إلى القتل التفت فرأى امرأته وكانت من أجمل النساء ، فقال :

أَقِلِّى علىَّ اللومَ يا أُمَّ بوزعا ولا تجزعى مما أصاب فأوجعا

ولا تنكحى إن فَرَّق الدهر بيننا

أغَمَّ القفا والوجه ليس بأنزعا

كليلاً سوى ما كان من حد ضرسه

أُكَيْبِدَ مِبْطانَ العشيات أروعا

ضروباً بلحييه على عظم زَوْرِه إذا الناس هشوا للفعال تَقنَّعا

وحُلِّى بذى أكرومة وحميَّة وصبر إذا ما الدهر عض فأسرعا

فمضت إلى السوق حتى انتهت إلى قصاب فقالت له : أعطنى شفرتك وخذ هذين الدرهمين وأنا أردها عليك . ففعل فقربت من حائط وأرسلت ملحفتها على وجهها ، ثم جدعت أنفها من أصله ، ثم ردت الشفرة وأقبلت حتى دخلت بين الناس وقالت : يا هدبة ، أترانى متزوجة بعد ما ترى ؟ قال : لا الآن طاب الموت

ثم خرج يوسف فى قيوده فإذا هو بأبويه يتوقعان الثكلَ وهما بسوء حال ، فأقبل عليهما وقال :

أبليانى اليوم صبراً منكما إن حزناً إن بدا بادىء شر

لا أرانى اليوم إلا ميتاً إن بعد الموت دار المستقرْ

اصبرا اليوم فإنى صابر كل حىٍّ لقضاء وقدَرْ

فلما دفع هدبة إلى عبد الرحمن ليقتله استأذن فى أن يصلى ركعتين ، فأذن له فصلاهما وخفَّفَ ، ثم التفت إلى من حضر فقال : لولا أن يظن بى الجزع لأطلتهما ، فقد كنت محتاجاً إلى إطالتهما . ثم قال قبل أن يقتل :

إن تقتلونى فى الحديد فإننى قتلت أخاكم مطلقاً لم يُقَيَّدِ

فقال عبدالرحمن : والله لاقتلته إلا مطلقاً من وثاقه . فأطلق فقام إليه وهز السيف ثم قال :

قد علمتْ نفسى وأنت تعلمُهْ لأقتلنَّ اليوم من لا أرحمهْ

ثم قتله . وقد رثاه واسع بن خشرم فقال :

يا هدب يا خير فتيان العشيرة من

يُفجع بمثلك فى الدنيا فقد فجعا

الله يعلم أنى لو خشيتهمُ

أو أوجس القلب من خوف لهم فزعا

لم يقتلوه ولم أُسْلِمْ أخَىَّ لهم حتى نعيش جميعاً أو نموت معا

وكان هدبة قد بعث إلى عائشة يقول لها : استغفرى لى . فقالت : إن قتلت استغفرت لك . فلما قتل وفت بوعدها واستغفرت له .

عبد المتعال الصعيدى

إعلان

تعلن وزارة المعارف عن حاجتها إلى استئجار منزل بالقاهرة لجعله مقراً لمدرسة ثانوية للتجارة يحتوى على ٥٣ حجرة على الأقل وفناء فسيح للطلبة

فعلى من يرغب فى تأجير منزله لهذا الغرض أن يقدم طلباً بذلك للوزارة مشفوعاً برسم يبين محتويات المنزل وموقعه . ومن يقع الاختيار على منزله يكون مستعداً لعمل الإنشاءات والتعديلات والترميمات اللازمة له . وقد تحدد يوم ١٥ أغسطس سنة ١٩٤٤ كآخر موعد لتقديم الطلبات . وللوزارة الحق فى قبول أو رفض أى طلب بدون إبداء الأسباب .

٢٠٠٦